أفعال الكلام غير المباشرة مقاربة تداولية في سورة الإنسان

Indirect Speech Acts a Pragmatic Approach in the Surah of Al-Insan

يومبعي جميلة [1]
طالبة دكتوراه مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب / جامعة قاصدي مرباح /ورقلة
youmbai.dj@univ-ouargla.dz
أ.د هاجر مدقن
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب / جامعة قاصدي مرباح /ورقلة
hadjermeda@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/17 القبول 2023/07/12 النشر على الخط 2023/09/15
Received 17/04/2023 Accepted 10/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تعد المقاربة التداولية للنصوص العربية من الاتجاهات الأكثر حظا في الدراسات الأكاديمية المعاصرة ، حيث أصبحت قبلة معظم الباحثين في هذا المجال نظرا لما توفره من آليات تطبيقية ملموسة داخل النص ، بعيدا عن التأويلات النسبية التي تحكمها الأيديولوجيات الفكرية للباحث في أكثر الأحيان.

وفي هذا البحث نقدم مقاربة تداولية لسورة الإنسان ، من خلال تطبيق المنهج التداولي على آيات هذه السورة لسبر أغوارها بطريقة جديدة تختلف عن المنهج التفسيري القرآني ، وتقاربه في نفس الوقت من حيث أخذه بعين الاعتبار كمرجع لقياس صحة ما نتوصل إليه من نتائج تخص أنواع الأفعال الكلامية غير المباشرة في السورة . ومنه فالهدف من هذه الدراسة هو تأكيد إمكانية تطبيق المناهج الحديثة وخاصة المنهج التداولي على النصوص العربية عامة و القرآنية منها خاصة بمنهجية علمية تمكن من الوصول إلى فهم المعنى العميق للخطاب .

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام ؛ المقاربة التداولية ؛ القرآن الكريم ؛ سورة الإنسان .

Abstract:

The pragmatic approach to Arabic texts is one of the most advantageous trends in contemporary academic studies, as most researchers in this field have come to accept because of the practical mechanisms they provide within the text, far from the relative interpretations often governed by the scholar's intellectual ideologies. In this research we offer a pragmatic approach to the Surah of Al-Insan, applying the pragmatic approach to the verses of this Surah to probe its spheres in a new way that differs from the quranic interpretative approach, while at the same time considering it as a reference for measuring the validity of our findings regarding the types of indirect speech acts in the Surah. The aim of this study is to confirm the possibility of applying modern curricula, in particular the pragmatic approach, to Arab texts in general and the quranic texts, including a scientific methodology that will enable the understanding of the deep meaning of the discourse.

Keywords: *Holy Quran ؛ pragmatic approach ؛ speech acts ؛ Surah Al-Insan.*

[1] المؤلّف المراسل: يومبعي جميلة البريد الإلكتروني: **youmbai.dj@univ-ouargla.dz**

1. مقدمة:

إن دراسة أفعال الكلام داخل الخطاب تعد الوجه التطبيقي الأوضح للمقاربة التداولية التطبيقية ، حيث يقف الباحث في هذا النوع من المقاربات على أنواع الأفعال الكلامية داخل الخطاب (النص) ومدى إنجازيتها ، من خلال ربطها بالمقام الذي أنتجت فيه . ولهذا نجد أن هذا المبحث هو أول نقطة يتطرق إليها التداوليون في مقاربة النصوص .

كما يستعين الباحث في تقصي هذه الأفعال بقواعد الاستلزام الحواري خاصة ما تعلق منها بالأفعال الكلامية غير المباشرة. فوفق (**ليتش**) كل كلامنا غير مباشر والفرق هو في درجة اللامباشرة التي ربما تزيد أو تنقص تبعا لسياق القول ومقامه[1]؛ أي المعنى المتوصل إليه يكون بالاستنتاج أو الاستلزام . بمعنى أن حالة عدم وجود استلزام الموافقة للفعل الكلام المباشر هي نفسها استلزام يستدل به على الفعل الكلامي المباشر .

ومنه فالفعل الكلامي عملية تركيبية من قبل المخاطِب لإنتاج قوة إنجازية في الخطاب . أما الاستلزام الحواري فهو عملية معاكسة تحليلية من قبل المخاطَب للوقوف على المعنى المقصود . أي أن تحليل النص وفق المقاربة التداولية يكون بتطبيق نظريات التداولية من الدرجة الثانية والثالثة .

2. نظرية الأفعال الكلامية في الدراسات العربية:

عرفت الدراسات اللغوية الحديثة تنوعا هاما في مناهج تحليل الخطاب ، وذلك بالتزامن مع التحولات المنهجية التي شهدتها الدراسات اللغوية الغربية الحديثة والمعاصرة ، ولهذا سعى العديد من أهل الاختصاص بإيصالها بالدراسات العربية القديمة سعيا لإثرائها وتطويرها ، وعلى هذا المنحى حدث ذلك التقارب المنهجي بين البلاغة العربية والتداولية . ويشكل مفهوم الأفعال الكلامية مفهوما أساسيا ضمن الهيكل العام للدرس التداولي ، من المعلوم — من خلال الدراسات المعاصرة – أن ما يقابل نظرية الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي هو دراسة دلالات الأساليب العربية المختلفة والمتمثلة في نظرية الخبر والإنشاء ، وهي الصورة المنهجية لهذه النظرية عندهم والتي تندرج ضمن علم المعاني وبالتالي فهي جزء من البلاغة العربية، كما أنها كانت حقلا مشتركا بين علوم اللغة و الفلسفة والبلاغة والنحو والأصول.

ومنه فإن نظرية الخبر والإنشاء هي الوجه العربي لنظرية الأفعال الكلامية الحديثة ؛ حيث تتقاطع معها في كون علم المعاني يعنى بتتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل به من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره ،[2] وبإمعاننا في هذا التعريف نجده يركز على الإفادة من الكلام ؛ حيث تعد الإفادة قرينة لغوية تداولية كبرى

[1] – ليتش جيوفري ، مبادئ التداولية ، تر : عبد القادر قنيني ، دار إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء / المغرب ، د ط / 2013 ، ص 254 .

[2] – السكاكي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، د ط / 1983، ص 247 .

، إذ تعتبر مناط التواصل بين مستعملي اللغة ، فقد كانت مراعاتها عنوانا على أي دراسة لغوية وظيفية جادة [1]. كما أن مفهوم الإفادة محكوم بمعياري الكم والكيف وهما من معايير التعاون الحواري الذي وضعه جرايس ضمن قضية الاستلزام الحواري .

وتتوافق هذه الرؤية **للسكاكي** مع ما ذهب عليه "**الخطيب القزويني**" الذي اهتم في دراسته للغة و لظاهرة الخبر و الإنشاء بالتحديد على مطابقة "المقال" " **Forme**" لـ " المقام" "**Situation** " الذي يرد فيه مع مراعاة مقتضى الحال، و يعرف علم المعاني بأنه " علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال ".[2]

ثم يواصل **السكاكي** شرحه لحد علم المعاني و يوضح ما يقصده في قوله "خاصية التركيب " بأنها" ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا من البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له لما هو هو حينا "[3] ، ومنه فالفهم عند " **السكاكي**" هو ما يتبادر في ذهن السامع عندما يسمع كلاما ما مثل عبارة " زيد منطلق" أو " زيد يأكل" فالقصد هنا هو الإخبار عن حال زيد مثلا فيقول : و اعني بالفهم، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب: إن زيدا منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصودا به نفي الشك،أو رد الإنكار، أو من تركيب: زيد منطلق، من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه، من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها[4].

فالتركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني عند "**السكاكي**" حيث يرتكز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالات حرفية أم دلالات ضمنية وكلها تفهم من المقام و بحسب مقصد المتكلم، و هذا ما تقوم عليه الدراسات التداولية الحديثة " القصد و الإفادة". وبناء على ما تقدم فنظرية الأفعال الكلامية العربية اقتصرت على دراسة التراكيب الدالة المفيدة ؛ أي التي لها دلالات مباشرة حرفية أو غير مباشرة منجزة من الناحية التواصلية .

فالقصدية أو الأغراض الكلامية هي المتحكم الرئيس في رؤية الدارسين العرب وتفسيرهم لأنواع الكلام وأساليبه ، ذلك أن الدرس اللغوي العربي قام على محور وظيفي يبحث عن دور كل جزء من الجملة في آلية صناعة المعنى والغرض الكلامي ؛ أي أنه يبحث عن المفاهيم والإجراءات التي تتحكم في آليات إنتاج الكلام طبقا للأغراض التواصلية المختلفة وذلك عن طريق إنفاذ البصر في البنية الخطابية المنجزة للجملة العربية انطلاقا من المحور الدلالي الذي يستعمله المخاطب المنتج لصنوف الأفعال الكلامية . ومنه فإن العلماء العرب كانوا سباقين في تناولهم لنظرية الأفعال الكلامية ودراستها، و نجدها مندرجة عندهم تحت مفهوم الأغراض الكلامية للأساليب .

---

[1] – صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت / لبنان ، ط :1/ 2005 ، ص 51 .

[2] – القزويني جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل، بيروت/ لبنان، ط3/ 1993 ، ج 1، ص 52.

[3] – السكاكي ، المصدر السابق ، ص 248.

[4] – السكاكي ، المصدر نفسه ، ص 248.

3.أقسام الأفعال الكلامية في الدراسات العربية :

مما سبق نلاحظ أن النظرية العربية تتفق مع النظرية الغربية في تقسيم الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة : أفعال خبرية (الإخباريات) وأفعال توجيهية (طلبية) ، أما عن بقية الأنواع التي عدها سيرل بعد تنظيمه لدراسات أستاذه أوستين فهي توافق في اللغة العربية أحد الأسلوبين السابقين ، أي أن إدراجها في أصناف منفصلة هو محض توسيع للمعاني قد يفتح على الباحث بابا يصعبا التحكم فيه كون المعاني في اللغة العربية أوسع نطاقا من كل اللغات.

إضافة إلى القسمين السابقين يشير البلاغيون العرب إلى قضية خروج المعنى عن مقتضى الظاهر وهو ما يطابق في الدراسات الغربية أفعال الكلام غير المباشرة . حيث يخرج الأسلوب الخبري إلى معاني و أغراض مختلفة باختلاف المقامات التي ترد فيها ومنها:[1] التعجب ، التمني ، الطلب ، الدعاء ... ، كما يخرج الأسلوب الإنشائي (التوجيهي / الطلبي)إلى أغراض أخرى تفهم من السياق ، حيث يحصر **السكاكي** الطلب في الأبواب الخمسة المعروفة ، وما سوى ذلك يعتبر عنده : امتناع إجراء الكلام على الأصل [2]، فهو ينجز لنا أفعالا بأغراض أخرى يقتضيها المقام ، وبالعودة إلى الفكرة التداولية في هذا الشأن نجد أن تحقيق الأفعال الكلامية يتوقف على بعض القواعد التأسيسية بمفهوم **سيرل** (قواعد لسانية وأخرى تداولية) وأي خرق لهذه القواعد يؤدي لا محالة إلى عدم تحقيق الفعل أو تحوله لفعل آخر ، ونأخذ على سبيل المثال خرق شرط الاستعلاء بالنسبة لفعل الأمر حيث يخرج الفعل – في هذه الحالة – عن معنى الأمر إلى غرض الالتماس أو الدعاء .وهكذا يحدث مع بقية الأساليب.

ثم إن الأغراض غير الأصلية للأسلوب الإنشائي أو المعاني الثانوية تعتبر نوعا من المجاز اللغوي لأن اللغة فيها لا تستعمل لما وضعت له . وقد يحدث أن نكون أمام نمط متميز من المجاز ، يكون الانحراف فيه بالنسبة إلى المقام ، وليس بالنسبة إلى الصورة المثالية للتركيب اللغوي ، ولا يصل إلى غرضه الصحيح إلا متمكن من التأويل .[3]

وانطلاقا مما أشار إليه **السكاكي** من آلية الانتقال من المعاني الأصلية إلى الفرعية يمكن أن نستنتج آليات تولد هذه الأخيرة :

1) معاني الطلب الأصلية قد تخرج إلى معان فرعية حين يمتنع مقاميا إجراؤها على الأصل ، ومعنى ذلك أن الأمر لا يتعلق بمخالفة معانيه لقواعد اللغة ، الأمر الذي يدل على حاجة الأسلوب الإنشائي إلى ضرورة مشاركة المتلقي بصورة فعلية في إنتاج الدلالة .

2) في حال عدم المطابقة المقامية لشروط الانجاز يمكن الانتقال من معنى إلى معنى آخر داخل معاني الطلب الأصلية ذاتها ، إذ يمكن باعتبار عوامل السياق أن يتولد مقاميا عن التمني الاستفهام أو العكس وما شابه هذا [4]، وقد توصل **ديكرو** إلى نفس النتيجة في حديثه عن المعنى حيث يرى أن ذلك مرده إلى المحيط الذي استعملت فيه تلك الأقوال والمتمثل في الأشخاص المشاركين في المحادثة وزمان ومكان الخطاب . ومنه فالانتقال من المعنى الأول إلى الثاني يتم بخطوتين متلازمتين :

---

[1] – الصاحبي أحمد بن فارس ، في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها،المكتبة السلفية ، القاهرة / مصر ، مطبعة المؤيد ، د ط / 1910، ص 150.

[2] – السكاكي ، المصدر السابق ، ص 344 .

[3] – ينظر : أبو حميدة محمد صلاح زكي ، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ، جامعة الأزهر ، غزة/ فلسطين، د ط / 2007 ، ص 190 .

[4] – ينظر : أبو حميدة محمد صلاح زكي ، المرجع نفسه ،ص 190 .

أ- يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه .

ب- يتولد عن خرق شروط إجراء المعنى الأصلي امتناع معنى آخر يناسب المقام .

وفي هذه الحالة تعد معرفة قوانين الخطاب شرطا أساسيا باعتبارها تمكن الدارس من فهم الكيفيات والآليات التي تصاغ فيها بعض أفعال الكلام بالرغم من تأديتها أفعالا كلامية غير تلك التي صيغت عليها في الأول [1].

والملاحظ هنا أن شروط انتقال تلك المعاني من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم مقاميا تتوافق مع ما أشار إليه **سيرل** بمصطلح الشروط المعدة ، وهي من المبادئ المؤثرة في تحديد هوية الفعل الكلامي ؛ أي في قوتها وضعفها ، والتي تشترط أن تتوفر عناصر تداولية معينة خاصة بطرفي الخطاب تعمل على توجيههما وتجعل الفعل الكلامي ناجحا أو فاشلا .

بالإضافة إلى تلك الأغراض الفرعية التي تخرج إليها الصيغ الطلبية يشير **السكاكي** إلى مستوى آخر من مستويات العدول اللغوي وهو الذي يرافقه إحلال الأساليب الإنشائية محل الخبرية لتحقيق فائدة دلالية قد تقصر الجملة الخبرية عن أدائها . ثم إن **السكاكي** لم يقصر الانزياح الذي يقع خارج الصياغة على تغير مواقع الخبر والطلب ، وإنما أضاف العدول عما يقتضيه حال المتلقي الذي أطلق عليه مصطلح الأسلوب الحكيم والمتبلور في صورتين [2]:

*- تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحيث يكون ترقبه ضمني يقدره المتكلم مع مراعاة حال السياق ، ثم يعدل عنه إلى ما يثير انتباهه.

*- تلقي السائل بغير ما يتطلب من الجواب ، وهنا يتضح قصد الإشارة إلى العدول مما يدفع بالمتلقي إلى بحث أوجه العدول للوصول إلى مقصد المتكلم ، كقوله تعالى: (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) سورة البقرة - 189- ، فقد نزل جواب هذه الآية عن سؤال السائل في تشكل الأهلة منزلة جواب عن سؤال آخر وهو: ما دور الأهلة ؟ .

وتعد الأغراض الفرعية المجازية من منظور نظرية الأفعال الكلامية أفعالا متضمنة في القول (خبر / طلب انجازي) مقابل الفعل الكلامي الأصلي ، وتختلف باختلاف قوتها الإنشائية ومحتواها الافتراضي ، وفي ذلك يقول الدكتور **مسعود صحراوي** : وما اعتبره بعض اللغويين والنحاة معاني مجازية إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية ووظائف تواصلية معينة يحكمها مبدأ الغرض والقصد الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب .[3]

فالعدول الذي يلحق الفعل الكلامي في هذه الأساليب هو فرق انجازي لا يغير من هوية الفعل الكلامي ، ولكنه يؤثر في قوته الإنشائية (نمط الإنجاز)، أي أن الفرق هو في الغرض الإنجازي وليس في شرط المحتوى الافتراضي ، فالمعنى أو القصد لا تدل عليه صيغة القول وإنما يتدخل في ذلك قصد المتكلم وعوامل السياق التي تحيط بإنتاج الفعل الكلامي ، وبالتالي فإن اهتمام **السكاكي** بعناصر المقام وإعطاءها دورا في تحديد الفعل الإنجازي من القول هو رؤية تداولية وظيفية عميقة .

[1] - بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ، ط 1 / 2003 ، ص 100

[2] - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة / الجزائر، ط2 / 2012، ص 152، 153 .

[3] - صحراوي مسعود ، المرجع السابق ، ص 144 .

وبعد جملة المعطيات السابقة في موضوع نظرية الأفعال الكلامية العربية نخلص إلى أن تقسيمات **السكاكي** للفعل الكلامي تتفق مع تصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية، فالأسلوب الخبري هو ما يقابل الفعل التقريري عند **أوستين** ، والأسلوب الطلبي هو ما يقابل الفعل الإنشائي عنده .كما لاحظنا تقاربا في بعض المسائل المتعلقة بتحليل الأساليب والتي اعتمدت على قصد المتكلم ومراده من المخاطب ، والقوة الإنشائية التي تحملها العبارة اللغوية . وبهذا فإن تلك التحليلات كانت على منهج تداولي يقارب المنهج الحديث . أما عن موضوع الانزياح اللغوي فال**سكاكي** يرى أن ذلك العدول ناتج عن مخالفة ما يقتضيه المقام وليس مخالفة قواعد اللغة وبهذا يغدو السياق مطلبا أساسيا في فهم الأفعال الكلامية عنده .

وانطلاقا من هذه المقارنة بين أفكار **السكاكي** رائد نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، وما جاء به الدرس التداولي بخصوص هذه النظرية نصل إلى نتيجة مفادها أن الأفعال الكلامية في اللغة العربية يمكن تقسيمها – حسب رأينا الشخصي – إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، وهي كالتالي :

- **الأفعال الكلامية الخبرية المباشرة** : وهي أفعال إنجازية مباشرة تصف الواقع وتطابق العالم الخارجي وتشمل عدة أغراض تفهم من سياق الكلام : كالوصف والسرد والتعبير عن المشاعر، ويضاف إليها ما ألحق من الأساليب الإنشائية غير الطلبية من تعجب وقسم ، ومدح وذم ...
- **الأفعال الكلامية الإنشائية المباشرة** : وهي أفعال إنجازية مباشرة تضم كل الأشكال التركيبية الإنشائية التي تؤدي أغرضا طلبية ، وهي محصورة في خمسة أبواب هي : الأمر ، النهي ، الاستفهام ، النداء و التمني .
- **الأفعال الكلامية غير المباشرة** : وهي أفعال إنجازية تصاغ بأحد الأسلوبين السابقين ولكنها تخرج عن المعنى الذي تقتضيه صيغتها اللغوية إلى معنى آخر يفهم من سياق الكلام .

إن هذا التوجه الذي اعتمدته في تقسيم الأفعال الكلامية عائد إلى سببين رئيسيين أولهما هو أن دراسة اللغة في الاستعمال تتسم بالدينامكية الحركية ، حيث يمكن أن نغير من الأسلوب بإضافة بعض الحروف أو الكلمات أو بتوظيف آليات الصناعة التركيبية للكلام من الحذف والتقديم والتأخير وفصل ووصل...، وبهذا فإن تفريع أغراض الأسلوب الخبري أو الإنشائي حسب تصنيفات نظرية الأفعال الكلامية يعد دراسة كمالية إحصائية غير ذات فائدة بالنسبة للدرس اللغوي العربي الذي يعد فيه الإيجاز من كمال البيان .

أما السبب الثاني فهو طبيعة اللغة العربية التي تختلف عن اللغات الأجنبية التي طبقت عليها تلك التحليلات المعطية للتصنيف الخماسي للأفعال الكلامية . فالعربية لغة مرنة تتسم بالإيجاز وبخصائص صوتية وتركيبية معقدة يصعب معها تطبيق آليات التحليل التداولي وفق الرؤية الغربية ، خصوصا مع اعتماد عنصر السياق في التحليل الذي قد يفتح على الدارس أبواب التأويل بوجوه مشتبهة وغير متشابهة ، تجعله يُرهق من أمره عسرا ، لتقاسمها عدة عناصر لغوية راجعة للتركيب نفسه أحيانا أو للمعاني التي يحملها أحيانا أخرى .

وبعد هذا الاستقراء لهذه التقاطعات بين نظرية الأفعال الكلامية عند العرب وما يقابلها في الدراسات التداولية قد يتساءل المطلع على هذا البحث عن سبب اتخاذي لهذا التصنيف للأفعال الكلامية دون التصنيف الخماسي حسب رؤية **سيرل** . فالإجابة

عن هذا التساؤل هي أن البلاغيون العرب حافظوا على ثُنَائيّة الخبر والإنشاء دون تفريع لأغراضهما، لأنهم كانوا واعيين كلّ الوعي بإنجازية كل المعاني خبرية كانت أم إنشائيَّة، من حيث إن المتَكلِّم هو المنشئ لها جميعها.

وهذا ما يتفق مع مفهوم نظرية الأفعال اللُّغويَّة، على اعتبار الفعل الكلامي يراد به الإنْجَاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال. أما التصنيف الخماسي للأفعال الإنجازية، الذي قدمه **أوستن** (**Austin**)، ومن ثم طور بحسب رؤية **جون سيرل** فلا يمكن تطبيقه على اللغة العربية مباشرة إلا بإدراج تعديلات تتوافق وطبيعتها وخصائصها الصرفية والنحوية والبلاغية والمعجمية ، مما يعيدنا رأسا إلى التصنيف الثنائي الذي وضعه **السكاكي**.

4. الأفعال الكلامية غير المباشرة في سورة الإنسان:

4. 1 .الأفعال المستلزمة عن الأساليب الخبرية :

أ- **الدعوة للتفكر والتدبر :** اعتمدت سورة الإنسان على الأسلوب الخبري ، فقد جاءت الإخباريات فيها متتالية ابتداء من الآية الثانية إلى غاية الآية اثنان وعشرين ، وذلك بعد أن لفت الله سبحانه وتعالى انتباه المخاطب عن طريق الآية الأولى والتي صيغت بأسلوب الاستفهام التقريري في قوله تعالى : (**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**) **الآية :1 / سورة الإنسان** ، وقد جاءت هذه الإخباريات مؤكدة بحرف التوكيد (إن / إنا) لأنها تنزل المخاطبين منزلة المنكر أن الله خلق الإنسان ولأنهم اتبعوا طريق الظلال وعبدوا الأصنام. التي لا تضر ولا تنفع.

وقد أدت هذه الإخباريات فعلها الإنجازي المحمل فيها بقوة عن طريق التوكيد إلا أننا من خلال القراءة العامة لنصها نلمس فعلا آخر غير مباشر تحمله في طياتها وهو دعوة الله لخلقه للتفكر والتدبر في عظيم قدرته من خلال ما أخبرهم به من أسرار الخلق في أنفسهم قبل بقية الكائنات . قال تعالى : (**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**) الآية 2 / سورة الإنسان ، والاستفهام التقريري المثبت في أول السورة دليل واضح على هذه الدعوة غير المباشرة للتفكر والتدبر .

ب- **النصح والإرشاد** : الجزء الثاني من السورة جاء في صيغة أخبار وصفية لعباد الله الأبرار ، ومنزلتهم عنده وما أعده لهم من نعيم مقيم في الدنيا والآخرة وذلك من الآية الخامسة إلى الآية اثنين وعشرين . وهي آيات غرضها الإنجازي المباشر هو المدح والثناء على عباد الله المؤمنين ، ومن ذلك قوله تعالى : (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْمًا كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**) الآية 7 / سورة الإنسان ، وقد أدت هذه الآيات أيضا فعلا إنجازيا آخر بطريقة غير مباشرة وهو فعل النصح والإرشاد للإنسان من أجل اتباع طريق الحق والالتحاق بعباد الله المؤمنين لينال معهم الجزاء والشكور والنعيم في الجنة .

ت- **الترغيب والترهيب** : يؤدي الجزء السابق من السورة (من الآية 4 إلى الآية 22) فعلا كلاميا غير مباشر ثان وهو فعل **الترهيب** وذلك في قوله تعالى : (**إِنَّا اِعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**) الآية 4 / سورة الإنسان ، فالغرض الإنجازي المباشر لهذه الآية هو توعد الله الكافرين بالعذاب ، وهو أسلوب يتبعه القرآن الكريم بهدف الإصلاح وإيقاظ العقول وله

مقاصد تتمثل في التأثير على أفكار المتلقي وأفعاله وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه .[1] ففي هذه الآية يتوعد الله الكافرين بالعذاب الشديد ، فلم يقل أن جزاءهم النار ، ولكنه بدأ بذكر أدوات العذاب زيادة في الترهيب والتخويف . وهذا من باب مجاز اللزوم الذي يستعاض فيه عن ذكر الشيء بأحد لوازمه أو أدواته. فالفعل الذي يستلزمه المتلقي من خلال هذه الآية هو الابتعاد عن المعاصي تجنبا للوقوع في غضب الله . ثم قرنت السورة هذا الفعل بفعل ملازم له وهو الترغيب عن طريق تبشير المؤمنين بما أعده الله لهم من نعيم في الجنة فصله في بقية الآيات ومن ذلك قوله تعالى : (**فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**) الآية 12/11 سورة الإنسان . فالغرض الإنجازي المباشر لهذه السورة هو تبشير المؤمنين الصالحين وعباد الله المتقين بأن لهم في الآخرة الجزاء العظيم والثواب العميم الذي ينسيهم كل خوف وعذاب لاقوه في الدنيا وهم يجاهدون في السير على سبيل الله للوصول إلى مرضاته . فالمتدبر في هذه الآيات يتوصل عن طريق العمليات الاستدلالية الذهنية إلى هذه الأغراض الإنجازية غير المباشرة التي تحملها هذه الإخباريات في طياتها مما يعطيه إرادة للعمل بما يرضي الله للوصول إلى ذلك النعيم المقيم.

أما الجزء الأخير من السورة (من الآية 27 إلى الآية 31) فقد حمل في طياته أيضا غرضا إنجازيا غير مباشر شاملا لكل الأغراض السابقة ، ولقد جاءت هذه الآيات على هيئة متتالية إخبارية مؤكدة بالحرف (إن) وأدت غرضا مباشرا وهو إشعار المتلقي بانتهاء المقصود في السورة وتنبيهه إلى فائدته ووجه الانتفاع به ، وبذلك فهي دعوة غير مباشرة للحث على التدبر في واستثماره والتفكر في خلقه لاختيار طريق الإيمان والابتعاد عن طريق الظلال . وفي قوله تعلى : (**نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا**) الآية 28 / سورة الإنسان ، يجوز أن يكون قوله : وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تهديدا لهم على إعراضهم وجحودهم للبعث ، أي لو شئنا لأهلكناهم وخلقنا خلقا آخر مثلهم كقوله تعالى (**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**) الآية 19/ سورة إبراهيم [2]؛ أي أن في الآية وعيد للكافرين غرضه الإنجازي تهديدهم من الإعراض عن منهج الله لأنهم لو استمروا على ذلك لبدل الله خلقا غيرهم يكونون أهلا للخلافة على الأرض ، وهذا يجعل المتلقي دائما في حذر من مخالفة أوامر الله تعالى حتى لا يتم استبدالهم . كما نلمس من خلال قوله تعالى : (**إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**) الآية 29 / سورة الإنسان فعل النصح والإرشاد بطريقة غير مباشرة .

4. 2. الأفعال المستلزمة عن الأساليب الإنشائية (التوجيهيات) :

أ- **الاستفهاميات:** يعدّ الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية الطلبية في البلاغة العربية ، واستعماله من الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عنها ، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على ذهن المرسل إليه ، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون .[3]

---

[1]- بوفرمة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو / الجزائر ، ع 3 / 2008 ، ص 17 .

[2]- ابن عاشور محمد الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير ، تونس، الدار التونسية للطباعة والنشر ، د ط / 1984، ج 29 ، ص 410

[3]- الشهري عبد الله بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت / لبنان، ط 1 / 2004، ص 352 .

ولقد ورد الاستفهام مرة واحدة في سورة الإنسان وهو في قوله تعالى: (**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**) الآية 1 ، وهو استفهام تقريري –كما سبق وأن أشرنا – يهدف إلى غرضين إنجازيين أولهما تأكيد للمخاطب على ظاهر العبارة بأنه لم يكن شيئا قبل خلقه وأنه خلق من عدم ، إضافة إلى وضعه أما عدد من الأسئلة التي تتصل بوجوده ، وغايته في الحياة ومآله [1]. وإضافة إلى هاذين الغرضين المباشرين للآية تكشف لنا القراءة المعمقة أغراضا غير مباشرة أدتها هذه الآية في نفس الوقت ، أولها هو لفت انتباه المتلقي إلى أهمية ما سيأتي بعدها من الآيات ؛ أي أنها عملت عمل النداء . إضافة إلى كونها دعوة غير مباشرة للإنسان ليتفكر في عجيب خلقه و ليعرف كثيرا من المعلومات . وهذا ما من شأنه أن يؤثر في سلوكه ويوجهه ليحرص على تغيير حاله للأفضل ، ويتبع طريق الهداية وهو الغرض العام الذي تهدف إليه السورة .

ب- **الأمر والنهي** : إن ما يمكن ملاحظته في أسلوب القرآن الكريم أن الأمر يكون دائما مقرونا بالنهي ، ويردان متشابكين ومتداخلين مع بعضهما حتى يصعب الفصل بينهما ، وهذا راجع لطبيعة القرآن الكريم المرتبط بالجانب التشريعي ونظام المعاملات والعبادات والعقائد ، فكان لابد من الأمر لأداء الواجبات ، والنهي عن كل المحرمات ، ونادرا جدا ما جاء أحدهما منفصلا عن الآخر .[2]

فالأمر هو طلب أداء فعل ما يكون على وجه الاستعلاء ، وقد يخرج عنه إلى معان مختلفة يحددها السياق الذي ترد فيه [3]، أما النهي ، فيعد أحد الأفعال الكلامية التوجيهية ، وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وله صيغة واحدة ، وهي : الفعل المضارع مع لا .[4]

ولقد ورد الأمر في سورة الإنسان مقرونا بالنهي، وذلك في قوله تعالى : (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا وَلَا كَفُورًا (24) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)**) . إن الغرض الإنجازي المباشر لهذه الآيات التوجيهية كان واضحا وهو دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للتحلي بالصبر وتقوية عزيمته من أجل مجابهة الكفار ومكائدهم . لكن القراءة المعمقة لهذه الآيات تحمل لنا معان أخرى غير مباشرة ، ذلك أن القرآن الكريم نص صالح لكل زمان ومكان ؛ أي أن آياته ومعانيها تتغير عبر الزمن ، ومنه نستطيع أن نقول إن في هذه الآيات دعوة لكل مؤمن للتمسك بالصبر والعبادة خاصة في الشدائد ؛ حيث إن العبادة والدعاء من موجبات النجاة من فتن الدنيا والفوز برضاء الله .

إن هذه الأفعال الكلامية غير المباشرة التي وقعنا عليها من خلال آيات سورة الإنسان تتوافق بشكل كبير مع جاء في تفسير السورة عند **ابن عاشور** ، حيث تدعوا هذه الآيات إلى التذكير بأن كل إنسان كوّن بعد أنلم يكن فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه (وهو الأمر الذي يدعوه للتفكر والتدبر) . وإثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكرا لخالقه وحذر من

[1]– حمود ميادة ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الإنسان ، مجلة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية ، جامعة تعز / اليمن ، مج : 5 ، ع : 3/ سبتمبر 2022، ص 48 .

[2]– بوفرمة حكيمة ، المرجع السابق ، ص 14

[3]– السكاكي ، المصدر السابق ، ص 318

[4]– فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ، دار الفرقان / الأردن ، ط 4 /1997 ، ص 154

الإشراك . وإثبات الجزاء على الحالين مع شيء من وصف ذلك الجزاء بحالتيه والإطناب في وصف جزاء الشاكرين (وهذا يتطابق مع فعلي الترغيب والترهيب) ...وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك ، والتحذير من أن يلين للكفار ، والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها بالاضطلاع بها والإقبال على عبادته (وهنا على الإنسان العاقل أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة له في ذلك فهو من باب النصح والإرشاد .)[1]

5.خاتمة:

كانت هذه أبرز الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تيسر لنا قراءتها من خلال آيات السورة، نسأل الله أن نكون قد وقفنا في شرح وتبليغ مقاصدها بما يتوافق مع معانيها العظيمة. و إلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذه الورقة البحثية والتي توصلنا من خلالها إلى النتائج التالية:

- أن نظرية الأفعال الكلامية العربية تتوافق بشكل كبير مع ما جاء في النظرية الغربية من حيث المبادئ والأسس التي انطلقت منها وبنت عليها قواعدها.

- أن أصناف الأفعال الكلامية في اللغة العربية يمكن حصرها في ثلاثة أصناف السالفة الذكر خلاف التقسيم الخماسي للنظرية الغربية لأن دراسة اللغة في الاستعمال تتسم بالدينامكية الحركية، وبهذا فإن تفريع أغراض الأسلوب الخبري أو الإنشائي حسب تصنيفات نظرية الأفعال الكلامية الغربية يعد دراسة كمالية إحصائية غير ذات فائدة بالنسبة للدرس اللغوي العربي الذي يعد فيه الإيجاز من كمال البيان .

- أن آيات سورة الإنسان اتسمت بغلبة الأسلوب الخبري المباشر على جل آياتها، أما الأساليب الإنشائية المباشرة فقد وردت في أربع آيات فقط. وقد تناولت الباحثة اليمنية **ميادة حمود** دراسة الأفعال الكلامية المباشرة (الخبرية / التوجيهية) في هذه السورة في مقال لها بعنوان **الأفعال الكلامية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الإنسان** . وقد أدت هذه الأساليب مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة انحصرت في ثلاثة أبواب هي : **الدعوة للتفكر والتدبر في الخلق ، النصح والإرشاد، الترغيب والترهيب.**

وفي الختام نشير إلى أن المقاربة التداولية للنصوص العربية لابد أن تأخذ منحا مغايرا لما جاء في النظرية الغربية ، باعتماد ما تضمنته النظرية العربية من مبادئ وأسس تتوافق وطبيعة هذه اللغة، بعيدا عن المقاربة القصرية التي تعتمد التصنيفات الغربية لأفعال الكلام .

[1]– ابن عاشور ، المصدر السابق ، ج 29 ، ص 371 .

6. قائمة المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .
2- ابن عاشور محمد الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير ، تونس، الدار التونسية للطباعة والنشر ، د ط / 1984، ج 29
3- أبو حميدة محمد صلاح زكي ، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر ، غزة/ فلسطين، د ط / 2007.
4- السكاكي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، د ط / 1983، ص 247.
5- الشهري عبد الله بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت / لبنان، ط 1 / 2004.
6- الصاحبي أحمد بن فارس ، في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية ، القاهرة / مصر ، مطبعة المؤيد ، د ط / 1910.
7- القزويني جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل، بيروت/ لبنان، ط3/ 1993 ، ج 1.
8- بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ، ط 1 / 2003.
9- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة / الجزائر، ط2 / 2012.
10- بوفرمة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو / الجزائر ، ع 3 / 2008.
11- حمود ميادة ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الإنسان ، مجلة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية ، جامعة تعز / اليمن ، مج : 5 ، ع : 3/ سبتمبر 2022.
12- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت / لبنان ، ط :1/ 2005.
13- فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ، دار الفرقان / الأردن ، ط 4 /1997
14- ليتش جيوفري ، مبادئ التداولية ، تر : عبد القادر قنيني ، دار إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء / المغرب ، د ط / 2013.